مدرس المادة:
أ.م.د مصطفى كامل أحمد

جامعة الأنبار
كلية الآداب
قسم اللغة العربية
المرحلة الرابعة

المحاضرة الحادية عشرة
مِن أعلام نحاة المذهب النحوي البصري

أولاً: عَمرو بن عثمان الملقب بسيبويه(ت١٨٠هـ) ، صاحب الكتاب في النحو (المعروف بالكتاب أو كتاب سيبويه).

١- منهجه و مادته

للكتاب منهج واضح بناه سيبويه وحدده ونظمه ورتب عليه العلوم التي ضمها هذا الكتاب ، فكتابه مبني على منهج منظم جارٍ على أسلوب منطقي رتب فيه مواد الكتاب وأبوابه، وقدّم منها ما رآه يستحق التقديم من الأبواب والبحوث التي تُعدُّ مدخلاً لأبواب الكتاب الأخرى، والذي يتضح للناظر فيه أنه عد علوم العربية البارزة ثلاثة هي: النحو، والصرف ، والدراسات الصوتية ، وعلى هذا الأساس رتّب كتابه ،فبدأ أولاً بموضوعات النحو المستقلة ، وجاءت بعدها موضوعات هي مما يدرس دراسة نحوية وصرفية ،وهي أبواب النسب والتصغير وجمع التكسير ، ووضع بعدها ما يتعلق بالصرف من أبنية الأفعال وما يشتق منها ومصادرها، وختم الكتاب بأبواب في الدراسة الصوتية من الإبدال والإعلال والإمالة والوقف والإدغام ، وكان هذا الترتيب واضحاً منطقياً دالاً على عقلية سيبويه التنظيمية، وعلى إحساسه بتميز البحوث النحوية عن الصرفية عن اللغوية الصوتية.

ولم يكن التنظيم والترتيب المنهجي واضحاً في هذا فقط بل اتضح بما جعله بداية افتتح به الكتاب من أبواب لابد من جعلها سابقة لغيرها ؛لأنها مقدمات لما سيجيء بعدها مما يرتكز عليها ويقوم بها ، ولهذا بدأ كتابه ب (باب علم ما الكلم من العربية) ، قسم فيه الكلام إلى اسم وفعل وحرف، وقسم فيه الفعل إلى أنواعه الثلاثة... ثم أتبعه بباب آخر ... وهكذا إلى آخر الكتاب.

وأما مادته فقد شملت جميع ما يُعرف اليوم من أبواب نحوية وصرفية بتقسيماتها المعروفة، و لم يشذ عنه من الأبواب شيء ذو بال.

٢-أسلوبه وشواهده

وصف عدد من الباحثين أسلوب سيبويه في كتابه بأنه سهل التناول قريب من الأفهام يتقبله الذوق العربي النحوي العلمي في أغلب ما ورد من أبواب نحوية أو صرفية أو صوتية ،ومع هذا لم يَخلُ الكتاب من عبارات معقدة متشابكة. قالت الدكتورة خديجة الحديثية في كتابها المدارس النحوية : على

العموم كان أسلوب سيبويه في معظم إلا فيما ندر سهلاً متسلسلاً سلساً تتابع فيه الآراء والمناقشات و الشواهد آخذاً بعضها برقاب بعض.
وقالت أيضاً : فسيبويه كان يعبر عن أفكاره بأسلوب زمانه وبأسلوبه الخاص ، ولكل عالم أسلوبه.
وأما شواهده فقد تنوعت ما بين القرآن و الشعر و النثر.
٣-عنونات أبوابه ومصطلحاتها
لم تكن لموضوعات النحو وعلوم العربية الأخرى في زمن سيبويه مصطلحات ثابتة تدل على أبوابه ؛لأن العلم كان جديداً ولم تكن مصطلحاته قد استقرت بعد ؛ولهذا فإننا نجد في الكتاب مصطلحات و تسميات للأبواب والموضوعات يختلف بعضها عما نعرفه في الكتب المتأخرة ، في حين اشتهر بعضها الآخر وعرف كما جاء عليه في الكتاب و بقي مستعملاً على اختلاف الأزمنة وتعاقبها ،كما نجد عنوانات قد طالت عند سيبويه واختصرها النحويون المتأخرون بكلمة أو بكلمتين.
٤-أصول النحو في الكتاب
قد اتضحت في الكتاب الأصول التي كانت عند سابقيه، مثل :اهتمامه بالقياس كثيراً ، واعتماده عليه فيما لم يرد به سماع عن العرب ،فإن ورد السماع وقف عنده ولم يجاوزه.
واهتم بالتعليل وأغلب مسائل كتابه معللة التعليلات الخالية من التعقيد التي تبين العلة في وجود الحكم أو الظاهرة الإعرابية أو التركيبية مما يحتاج إليه المتعلم والمتلقي.
واستعمل الأحكام التي تميز بها فصاحة الأساليب وضعفها ويفاضل بينها .
وتتحدد صحة الوجه الإعرابي من خطئه وحكمه على هذا كله بأنه مطرد أو فصيح أو ضعيف أو جيد أو الوجه أو أفضل من غيره ...إلخ.
واحتاج إلى استعمال التأويل للشواهد الفصيحة الخارجة عن الكثير المطرد في شعر أو قراءة أو نحوهما ، فيلجأ إلى التفسير والتقدير ؛لكي يرد هذا المخالف إلى القياس .
وكان سيبويه يفترض المسائل ويسأل شيوخه عن حكم هذا المفترض .
وقد بنى الكتاب بموضوعاته النحوية على العامل .
والكتاب مملوء بالشواهد الشعرية التي عدت أصح الشواهد ، وإن كان قد ترك الكثير منها غير منسوب.
وهو يزخر بالآيات القرآنية ، وقد احتج ببعض الأحاديث .

وهكذا كان لسيبويه فضل حصر أقوال شيوخه وآرائهم وتنظيمها و حفظها بعد مناقشته إياها وحكمه عليها [1].

[1] ينظر تفصيل ذلك في كتاب المدارس النحوية للدكتورة خديجة الحديثية.